خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٢ من جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ / ١٣ من آذار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ *كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٨-٢٩].

"القول في البغال" عنوان رسالة كتبها الجاحظ، يستطيع أن يستوعب موضوعها مَن يشاء، العرب إذا رأت ما يَستدعي الشتم نسبت صاحبه إلى ذلك الحيوان، وقالت عنه أنه بغل، وسر هذا الوصف أنَّ البغل حيوان مُهجَّن، أمه فرس نزى عليها حمار فخرج الولد يَحمل طباعاً غَير ما يُعرف في صِنفه، لو أن أمه واقعها حصان لخرج الابن جواداً كريماً، أو على الأقل فيه أصالة الخيل وشموخ مظهرها وأصالتها، والبغال في ميدان الحياة كثيرون، وآثارهم في إفساد الذوق والوعي شائعة منكرة، هؤلاء نزت على أخلاقهم ومسالكهم بل على نفوسهم وعقولهم أفكار دخيلة وآراء دنيئة، تتصل بالحياة والإنسان والوجود الأعلى، فكان هذا التلقيح الفكري مُغيراً طبائعهم، كما تتغير الذراري في الواقع الحيواني المختلط.

منذ سنين طويلة والغرب الغاشم يُنَظم غزواً ثقافياً واسع النطاق، يريد من وراءه تسميم الوعي العربي وتلويث المنابع التي تمد أفكارنا ومشاعرنا بالحركة والحياة، وهو يرمي بهذا الغزو الماكر إلى خلق أجيال تَعنو له وتسير خلفه وتعمل بوحيه في كل مجال، والغزو الثقافي أشد خطورة من الغزو العسكري، لأن سقوط مدينة ما في يد العدوِ أمر مُستدرك العاقبة، وما دامت النفوس سليمة والمشاعر نقية والعقول واعية فإن هذه المدينة ستسترجع حتماً، أما إذا فسدت الأمم وتبلورت أفكارها وعواطفها في الإطار الذي صَنعه الاستعمار لها، فهي لا تنزل عن مدينة لها فحسب، بل تُسلم عواصمها وقراها ومقاليد أمورها جميعاً

لخصمها، عن رضى لا عن كره، وعن إعجاب لا عن قهر، وماذا يَطلب الاستعمار أكثر من ذلك، إنه لن يَصل بالحديد والنار إلى مثل هذه النتيجة التي وصل إليها بغزوه الثقافي واستيلائه على العقول والأفئدة، يَصبها في القوالب التي ترضيه ويَخلق بها أجيال تعمل لحسابه وحده، بل إنها تَعمل لحسابه وهي تظنُ نفسها تعملُ لوطنها وتَنتصرُ لقضاياه.

إن الغرب –يا سادة– يسعى إلى خلقِ أجيال لها لون مِنَ المنطق المشوه، قد تزور على قوميتها وهي لا تدري، وقد تتنكر به لتاريخها وهي لا تشعر، لقد استفادت أوروبا في هجماتها الحديثة على الشرق دروساً كثيرة من الحروب التي شَنتها قديماً، وهي في حملاتها الأخيرة على الإسلام والمسلمين تتبع سياسة أحكم في بلوغ مآربها، وتتخذ طرقاً ماكرة في القضاء على الإسلام وأتباعه دون ضَجة كبيرة، وهل أجدى عليها من أن تَخلق جيلاً من المسلمين أنفسهم يَقضون على دينهم بأيديهم؟ إن ذلك يُوفر عليها قدراً كبيراً من المتاعب والتبعات، وحسبها بعد أن تقف وهي متفرجة لترى –وهي طَروب– كيف يُقتل الإسلام بغير يدها.

يا سادة: كان الغربيون القدماء يَهجمون بغارات فَظيعة وليس على وجوههم نقاب ولا دون نيات دثار، غرضهم البين القضاء على الإسلام بالسيف، فكان ذلك اللون من الهجوم يتبعه رد فعل شامل في الأقطار الإسلامية، إذ يَجمع متفرقها ويُصحي نائمها، ويثير دوافع البقاء أمام وطأة الجزارين، إن لم يثر كوامن الإيمان أمام عدوان المعتدين، ولذلك اشتدت مقاومة المسلمين لهذه الهجمات، من هنا أدرك الغرب أن عليهم أن يضربوا الإسلام من خلال الإسلام، ولا يكون ذلك إلا عن طريق أبناءه الناشطين على أعقابهم، فهم الذين يستطيعون وحدهم أن يُحققوا أهداف هذا الغزو، وذاك ما ننيط عنه اللثام الآن ونحن نتفرس في عالم البغال، وسترى أن الغزو الثقافي وما يكتنفه من تأليب عسكري خارجي ومؤامرات داخلية شتى إنما يَقوم على طعن الإسلام في صميمه وتقويض أركانه جملة، فهو بذلك يحارب الإسلام على هذا الدين من القواعد، فذاك أسرع شيء لهدم الدين وتشويهه، فنحن إذاً أمام عصابة مأجورة للشيطان، أمام دواب ناشطة في نقل المطاعن على القرآن الكريم والسنة المطهرة، ناشطة في تهويل التراث الإسلامي وترك المسلمين عن إعجازه والأخذ به، ناشطة في إخراج أمة جديدة يحتقر تاريخها الماضي ورسالتها الكبرى، وترمق المدنيةَ الغربية بدهشة المعجب وفقر المتسول، من هنا أدركنا أن الفكر المتطرف لم يكن وليد عقول أعياها التفكير فضلت، بل كان وليد اتباع لتوجيهات السادة وتلقيناتهم، فلم يجد نعم

فلم يجد الغزو الثقافي الأجنبي بداً من الإيعاز لأدواته بمحاربة القرآن على نحو لا يُغري بهذه المقاومة المهتاجة، فلتبق للقرآن قداسته الاسمية، ولتهجر تعاليمه وتشاريعه، ولتضرب الأسوار الغلاظ بين هدي القرآن وأمته، حتى لا تكون صلة ما بين ثقافة الأمة وسياستها وشؤونها الاجتماعية وبين هذا الكتاب الكريم، وقد انطلقت الجهود إلى هذه المحاولة، فحولت القرآن إلى كتاب يجتمع إليه في أحفال الموتى، ولا يلتفت إليه في أحوال الأحياء، ومضت سنون والأفكار الهادمة تقتحم كل حصن وتبتذل كل قداسة، حتى اتسعت الشقة بين الواقع والواجب، ورأينا ونحن محزونون كيف نتناول شؤوننا الدينية والثقافية والأدبية بكل استهانة، وكيف أن التيار الطارئ الغريب يريد أن يغير كل شيء في حياتنا الاجتماعية والفكرية والتاريخية والعاطفية، وأن يَفصلنا فصلاً عن ماضينا الطويل العريق، وأن يجعل بيننا وبين الإسلام بُعد المشرقين، فعلى الأمة اليوم أن تدرك خطورة التيار الأجنبي، وأن تمنعه أن يُعربد كيف يشاء لكي يخلط الحقائق الدينية والتاريخية خدمة للماسونية العالمية، وقد استطاع هذا الغزو الثقافي أن يقتحم تقاليد مجتمعاتنا عاملاً في دأب على إشرابها الطابع الغربي، وعلى تخفيض الروح الإسلامية منها.

ويمضي الغرب في سياسته المرسومة، يحيق المؤامرات للمسلمين في المحافل الدولية، ويبذل جهوده لخذلان قضاياهم وبعثرة قواهم، وإظلام مستقبلهم وضرب بعضهم ببعض، ولم تكن هذه الضربات إلا تمهيداً لاجتثاث جذور الإسلام كله من العالم، ثم تتخير أمته –انتبه أيها المسلم– ثم تتخير أمته بين الارتداد عنه أو الفناء معه، يجب أن نتساءل: ما الذي انتهى بنا إلى هذا المآل؟ ما الذي أفقدنا هدينا ووعينا؟ وأمكن الآخرين من التسلط علينا وإضاعة رسالتنا وإهدار كرامتنا؟ ما الذي آل بنا إلى هذا المآل؟ والجواب لا يحتاج إلى طول بحث أو تكلف فلسفة، إننا نحن المسؤولون أولاً وآخراً، فالفساد الذي استشرى في نفوسنا وأخلاقنا هو سر نكبتنا، وقد حذرنا ربنا ﷻ من عاقبة هذا الفساد حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] ألم تنطبق علينا هذه الآية –يا سادة– كيف نقتل بعضنا ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

عن أنس قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: ((إذا ظهرت المداهنة في خياركم، والفاحشة في شراركم، وتحول الملك إلى صغاركم، والفقه في أراذلكم)) وتحول الفقه في الأراذل معناه أن يسقط حظ الدين، فتمسي الأوعية التي تحمله شائنة له مُعينة عليه تحيا به ولا تحيا له، وكم

شقيت أديان ومجتمعات وأجيال من المتفقهين الأراذل الذين كانوا عوناً ونصرة للغزو الثقافي الذي قاد الأمة إلى التفكك والبوار، وفي العالم الآن قوى تتطاحن لامتلاك أمره، وتتنافس في أخذ زمامه والانفراد في تسييره، وهي قوى شاءت الأقدار أن نحتك بها وأن تحتك بنا، وأن تتشابك علائقنا بها تشابكاً له في ماضينا وحاضرنا أعمق الآثار، ولا يمكن للعرب وللمسلمين أن يَتجاهلوا الضراع الناس في بلادهم، ذلك لأن هذا الصراع إن لم يُوقف، وذلك أن رحى هذا الصراع لم توقف سَتطحن دينهم وتاريخهم وبلدانهم، ثم إن رسالتهم السماوية الجليلة هدف مقصود عن قرب أو بعد في هذا النزاع، وهي لا شك قد تأثرت بأطواره الماضية، وسوف تتأثر بنتائجه في المستقبل.

إن جهود دول الغرب ومن ورائه العون الأمريكي المادي والأدبي دائبة على تدويخ الإسلام وإذلال أهله في آسيا وأفريقيا كلها، وقد دخل اليهود أيضاً في هذا المضمار الخسيس، فشرعوا يسلكون الطرق –طرق المكر والاحتيال– لكي يكيدوا بالعرب وبرسالتهم العظمى التي حملوها، إننا سنبقى ما حيينا أوفياء لعروبتنا ولإسلامنا ولمسيحيتنا، وسنذود الغزو الثقافي عن التربية والتوجيه في بلادنا، ولم نسمح لجبهة من الجبهات أن تجرنا وراء قافلتها أو تسيرنا بوجهتها، ولن نسمح لأبناء الغرب أو الشرق أن يشوهوا نهضتنا أو يُعكروا صفوها، وعلينا أن ندرك جيداً مَواقع أقدمنا أمام أبصارنا، حتى نَشيد على قواعدنا وحدها، وحتى نقطع الطريق على أفراد الذي أفسد أفكارهم وضمائرهم الغزو الثقافي الوافد من أوروبا.

وإنك أيها المسلم أيها العربي إذا تأملت بعين العقل والبصيرة ما يَجري في الوطن العربي عموماً وفي سورية خاصة، تَجد أن الغزو الثقافي هو الذي أثر على الكثيرين من الشباب المغفلين، وتجد أن هذا الغزو هو الذي يمكر بأمتنا في ليلها ونهارها، وتجد أن قلة الوعي والفهم والإدراك هو الذي شرع في تدمير وقتل النفوس البريئة من أبناء هذا الوطن الحبيب، فما تتعرض له سورية هذا الوطن الحبيب وما تتعرض إليه الدول العربية الباقية، هي نتيجة تلقيح فكري فاسد جاءنا بالفكر الوهابي المتطرف المتشدد، الذي لا يمت للإسلام ولا للإنسانية بصلة، جاءنا مِن فكر إخوان الشياطين وليسوا بمسلمين، إنهم إخوان شياطين، من قال إنه سيرد على الذي يرشه بالماء سيرشه بالدم هذا مِن إخوان الشياطين، كيف لا، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] أمرنا الله عز وجل أن نقابل السيئة بالحسنة، لا أن نقابل السيئة بالسيئة، أما فكر إخوان الشياطين يعتمد على الدم، يعتمد على القتل والخراب والدمار، فتحية لجمهورية مصر العربية التي عملت على استئصال الإخوان وأفكارهم النتنة من

مصر ومن كل الدول العربية، ورحم الله القائد الخالد حافظ الأسد، عندما حارب الإخوان المسلمين إخوان الشياطين عندما حاربهم وهاجمهم لأنهم كانوا يُشكلون خطورة كبيرة وفظيعة آنذاك على ديننا وعقيدتنا وأخلاقنا وسلوكنا.

والأن أدرك السوريون بعد أن رأوا ما حدث في مصر من فكر إخوان الشياطين من قتل ودمار واستنزاف للجيش العربي المصري هناك، أدركوا أن فكر الإخوان فكر خطير، هو مرض كالسرطان، يَنبغي أن يُستأصل من جسد الأمة العربية والإسلامية.

وإننا نقول للوهابيين ولإخوان الشياطين: أرونا ماذا قدمتم لدينكم؟ أرونا ماذا قدمتم لعروبتكم؟ أرونا ماذا قدمتم لإسلامكم؟ ها هو أقصانا الشريف يترنح تحت طغيان بني صهيون منذ سنين طويلة، منذ نصف قرن ويزيدون، لم نركم يا خونة في يوم من الأيام حرضتم من أجل الجهاد في تحرير الأقصى الشريف، وهو فرض عليك وعلى الأمة بأسرها، لم نركم يا خونة في يوم من الأيام عملتم على تحرير العراق الشريف، بل سعيتم لزيادة حمامات الدم في فلسطين وفي العراق وفي ليبيا وفي سوريا خدمة لأسيادكم بني صهيون، وإنني ونحن نَستظل بعيد المعلم العربي أناشد المعلم العربي السوري والمعلم العربي بشكل عام أن يَزيدوا من عطاءاتهم الواعية ومن ثقافتهم النيرة حتى تخرج الأجيال بعقول مُستنيرة تُدرك أين تضع أقدامها، وأين ترمي بأبصارها.

تحية للمعلم السوري الذي يقف في هذه المحنة الشديدة بكل جرأة وثبات، وهو يتوجه إلى مدرسته إلى صفوفه إلى طلابه، ليؤدي رسالته، وليؤدي أمانته أمام الله وأمام الأجيال وأمام التاريخ، هذا المعلم هو الجندي المجهول، علينا أن نصون المعلم العربي، أن نصون المعلم السوري، أن نَقف إلى جانبه، أن نعيده في عمله، أن نَشعر بتضحياته القيمة التي لا تخفى إلا عن أعمى أو متعامي.

يا أيها الإخوة: ها هو القرآن بين أيدينا والسنة النبوية المطهرة بين أيدينا، وهما واضحين كالشمس، إذا أردنا حياة سعيدة، حياة كريمة، حياة مطمئنة، يَعمها الأمن والأمان والسلام والحب والهداية، علينا أن نتمسك بهما، وأن نرجع إليهما، فإن خير ما يقتدي به المرء بكتاب الله وبسنة رسوله، وما دون ذلك إنما هو ادعاء وافتراء وكذب وتزوير، لقتل الدين أولاً، ثم لقتل الإنسانية، ثم لقتل التاريخ ثالثاً، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تعيد الأمن والأمان والبشرى إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس القائد المؤمن بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.